العدالة وأبعادها الدنيوية والأخروية من خلال رسائل النور

د. المصطفى الوضيفي
جامعة القاضي عياض/ كلية الآداب
مراكش/ المملكة المغربية

المقدمة:

استوحى الإمام النورسي مادة العدالة والعدل من ثلاثة مصادر أساسية:

- ✓ المصدر الأول النص
- ✓ المصدر الثاني الطبيعة
- ✓ المصدر الثالث الواقع المعيش.

أما عن حديثه عن هذه المادة، فقد قسمه إلى قسمين كبيرين:

- ✓ القسم الأول العدالة الدنيوية.
- ✓ و القسم الثاني العدالة الأخروية.

القسم الأول: العدالة الدنيوية بدورها تحدث عنها من جانبين:

الجانب الأول العدالة الدنيوية الطبيعية، وهي عبارة عن تجلي صفة الحق في إطار العدل الإلهي، وتظهر هذه العدالة الطبيعية بوضوح في الربيع "فإذا شئت – في ضوء هذا المثال- أن ترى تجلي اسم الله الحق والرحمن الرحيم ضمن نطاق العدل والحكمة، فسرح نظرك في الربيع إلى تلك الخيام المنصوبة على بساط الأرض لأربعمائة ألف من الأمم المتنوعة (...) وهم لا يملكون أسنة يطالبون بها تامين حاجاتهم وتلبية رغباتهم... مع كل هذا فان كلا منها تدار وتراعى باسم الحق والرحمن والرزاق والرحيم والكريم دون التباس ولا نسيان ضمن نطاق الحكمة والعدل بميزان دقيق وانتظام فائق...".[١]

(١) مرشد أخوات الآخرة والإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٩٢.

وقد تتجلى كذلك صفة العدالة الإلهية في تلك الفوضى البشرية التي ينظمها الإله العادل، يقول المرسي معتمدا ضرب الأمثال" هذا الكون قصر بديع يضم مدينة واسعة تتداولها عوامل التخريب والتعمير، وفي تلك المدينة مملكة واسعة تغلي باستمرار من شدة مظاهر الحرب والهجرة، وبين جوانح تلك المملكة عالم عظيم يسبح كل حين في خضم الموت والحياة، ولكن على الرغم من كل مظاهر الاضطراب، فان موازنة عامة وميزانا حساسا وعملية وزان دقيق تسيطر في كل جوانب القصر ونواحي المدينة (...). إن ما يحدث ضمن هذه الموجودات التي لا يحصرها العد من تحولات، وما يلج فيها وما يخرج منها لا يمكن أن يكون إلا بعملية وزن وكيل، وميزان من يرى أنحاء الوجود كلها في آن واحد، ومن تجري الموجودات جميعها أمام نظر مراقبته في كل حين... ذلكم الواحد سبحانه...".[٢]

ويلحق بهذا المعنى الطبيعي الأرضي، المعنى السماوي المتمثل في تسيير الكواكب بعدالة وعدل "فتأمل في الموازنة الواسعة بين الشمس والكواكب السيارة الاثنى عشرة التي كل منها مختلفة عن الأخرى، إلا تدل هذه الموازنة دلالة واضحة وضوح الشمس نفسها على اله سبحانه هو العدل القدير".[٣]

الجانب الثاني العدالة البشرية، وهي في الأصل فطرية وتجلي لاسم الله العدل ولذلك كان من المفروض سواد العدالة بين البشر "إن وظائف المخلوقات تنسج على منوال الحكمة وتنال بميزان العدل وهما من الدقة والحساسية لا يتصور الإنسان أفضل منها فترى الحكمة الأزلية قد وهبت للإنسان قوة حافظة – كحبة الخردل حجما- وكتب فيها تفاصيل حياته وما يسمه من أحداث لا تعد، وكأنها مكتبة وثائقية مصغرة جدا، ووضعتها في زاوية من دماغه، لتذكره بيوم الحساب، يوم تنشر ما فيها من صحائف الأعمال".[٤]

هذا وعلى الرغم من ظهور تجليات الله العادل في الكون والبشر فان الإنسان يعتريه ما يعتريه من الظلم، وهي ما تحدث عنها النورسي واعتبرها من معوقات العدل البشري:

---

(٢) الاسم الأعظم قبسات من أنوار الأسماء الحسنى: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٣٠-٢٩.

(٣) نفسه ٣١.

(٤) الثمرة من شجرة الإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٤٠. هذا ناهيك عن كونها أمرا إلهيا، انظر: الاسم الأعظم ٣٣، هذا ناهيك كذلك على أن الله ذكر غير ما مر العدل بما يقوم مقامه كالميزان، الاسم الأعظم ٣٣.

١. عدم التزام الشريعة: فما دامت *الشريعة* قائمة على الحق والعدل فان أي تغيير أو تعديل يفضي إلى الظلم ولذلك فلا بديل للبشرية عن الشريعة "فالشريعة... قائمة على الحق والعدل بقوانينها الدقيقة الغزيرة، لا تقبل مثيلا أبدا."[٥]

٢. العداء والعناد بين الشباب *والبشر* عموما يفضيان إلى انتفاء العدالة والعدل "... فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله، إذ يضيع الإخلاص. ذلك لان المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله. ثم انه لا يوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه، الموافقين له في أحكامه ومعاملاته على غيرهم... وهكذا يضيع أساسان مهمان لبناء البر، (الإخلاص والعدالة) بالخصام والعداء."[٦]

إن معالجة الظاهرة وإرجاعها إلى حالتها الطبيعية تقتضي إقامة الشريعة القائمة على العدل من جهة وإزالة العداء والعناد بين الشباب والبشر من جهة أخرى،* وهكذا يمكن للإنسان إن يحصل على فهم مغزى الحياة والدنيا، بل وحتى على مغزى الموت.

فالدنيا لدى الكافر تزول بالموت، وهذا ما لم يقبله النورسي، فالدنيا عنده:

١. ليست زائلة بالموت بل مستبدلة من دار الدنيا إلى دار الآخرة، وهذا الاستبدال ايجابي بالنسبة للمؤمن، سلبي بالنسبة للكافر "إن الموت ليست فراقا وإنما وصال وتبدل مكان وإثمار لثمرة باقية".[٧]

٢. المؤمن فيها يعيش سعيدا حالة تبدلها بالموت ويعيش بعدها سعيدا، وهذا لا يحصل إلا بالإيمان الذي هو صفة المؤمن. "إن النجاة من الإعدام الأبدي، والخلاص من السجن الانفرادي وتحويل الموت إلى سعادة أبدية، إنما تكون بالإيمان بالله وطاعته ليس إلا."[٨]

---

(٥) المعجزات الأحمدية على صاحبها أفضل الصلاة و السلام: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٢٠٢.

(٦) الإخلاص و الأخوة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٧١.

* نفسه ٥٨-٥٩.

(٧) الشيوخ: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٦٦.

(٨) مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ١٠.

٣. الدنيا بمفهوم المؤمن ثمرة واستثمار، وقد أدرك ذلك بالإيمان "إن نور الإيمان يصور الدارين الدنيا والآخرة، اشد ما تكون بسفرتين ممدودتين مملوءتين نعما، يستفيد منهما المؤمن بيد الإيمان وبحواسه الظاهرة والباطنة وبلطائفه المعنوية والروحية، بينما تتضاءل وتصغر دائرة استفادة الإحياء في نظر الضلالة فتنحصر في لذائذه المادية فقط، والتي ينغصها الزوال."[٩]

فلا يتصور إن الدنيا نهايتها *الموت*، وإنما هي باقية، فالمجرم فيها يجازى والمؤمن يكافأ، ومن هنا ضرورة الآخرة لأنها تعكس صفة العدل الإلهي، ومن غير العدل أن يخلق الله المخلوقات دون أن يكافئهم بل لابد من المكافأة، وهذه المكافأة تكون في الآخرة وهي صفة عدله سبحانه، ومن هنا ضرورة الآخرة:

القسم الثاني: العدالة الأخروية:

١. ضرورة المكافأة وهي من ضرورات العدل وتجلياته "انه كما لا يمكن لسلطان بلا مكافأة للمطيعين وبلا مجازاة للعاصين (...) ولاسيما إذا كان له حكمة عالية، تقتضي حماية شأن سلطته بتلطيف الملتجئين إلى جناحه، وله عدالة محضة تقتضي محافظة حشمة ملكيته بمحافظة حقوق رعيته..."[١٠]

٢. إنكار الخلود وإنكار الآخرة هو إنكار *لتجليات* الحكمة والعدالة والعناية والرحمة الإلهية "و إذا افترض المحال، هو أن السلطان السرمدي الذي يريد هذه الأمور، ويغير هؤلاء الضيوف والمستضافات باستمرار- ليست له منازل دائمة، ولا أماكن راقية سامية، ولا مقامات ثابتة، ولا مساكن باقية، ولا رعايا خالدون، ولا عباد سعداء في مملكته الخالدة، يلزم عندئذ إنكار الحقائق الأربعة: الحكمة والعدالة والعناية والرحمة (...)".[١١]

٣. البعث سيقع لا محالة "نعم إن الدنيا بعد دمارها وموتها ستبعث آخرة، وأن الخالق القدير الذي بناها لأول مرة سيعمرها... وأول دليل على هذا هو: أولا القران الكريم...".[١٢]

---

(٩) الشكر ثمرة الحياة و غاية الكائنات: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٦٤، انظر كذلك: الحشر ٨٢.

(١٠) المثنوي العربي النوري: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٨٨.

(١١) رسالة الحشر: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٧٩، انظر كذلك ص ٨٢.

(١٢) الملائكة و بقاء الروح و الحياة الآخرة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٦٥.

٤. العدالة والرحمة تقتضيان وجود الآخرة "(...) إن الرحمة والعدالة والحكمة تتطلب وجود جهنم وتقتضيه، لان إنزال العقاب بظالم هتك حرمات ألف من الأبرياء (...) إنما هو رحمة بالآلاف الأضعاف المظلومين من خلال العدالة".[١٣]

٥. الإنسان فطر على طلب الآخرة "الحكمة الأزلية قد وهبت للإنسان قوة حافظة (...) كتب فيها تفاصيل حياته (...) وكأنها مكتبة وثائقية مصغرة جدا، ووضعتها في زاوية من دماغه، لتذكره بيوم الحساب".[١٤]

لتحقيق العدل لابد من حياة أخرى "فلابد إذا أن تكون وراءه حياة أخرى خالدة كي تستكمل الحكمة والعدالة حقيقتهما".[١٥]

ضرورة محاسبة الكافر ومكافأة المؤمن "فاعلم أنا كثيرا ما نرى الظالم الفاجر الغدار في غاية التنعم، ويمر عمره في غاية الطيب والراحة، ثم نرى المظلوم الفقير المتدين الحسن الخلق ينقضي عمره في غاية الزحمة (...) ثم يجئ الموت فيساوي بينهما. وهذه المساواة بلا نهاية ترى ظلما. والعدالة والحكمة الإلهيتان (...) متنزهتان عن الظلم، فلابد من مجمع آخر يرى الأول جزاءه والثاني ثوابه فتتجلي العدالة الإلهية...".[١٦]

لاشك أن هناك عدة دواع لاقتضاء الحياة الأخروية، وقد ساقها النورسي مفصلة في كتابه الملائكة مقدما لها بقوله "إن هناك ما يقتضي الحياة الأخرى، وأن هناك مبررا للسعادة الأبدية، وأن البرهان القاطع الدال على هذه الضرورة حدس يترشح من عشرة ينابيع ومداراة:"[١٧]

المدار الأول: النظام الكامل.[١٨]

المدار الثاني: الحكمة التامة في الخلق.[١٩]

المدار الثالث: لا عبث في العالم.[٢٠]

---

(١٣) قطوف من أزاهير النور: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ١٢٦.

(١٤) الثمرة من شجرة الإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٤٠.

(١٥) نفسه ٤١.

(١٦) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٨٣.

(١٧) الملائكة و بقاء الروح و الحياة الآخرة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٤٠.

(١٨) النظام الكوني يستدعي الحياة الأخرى و السعادة الأبدية. الملائكة ٤٠.

(١٩) الاعتناء بالخلق دليل على أن السعادة الأبدية حتمية. الملائكة ٤١.

(٢٠) ليس هناك عبث و لا إسراف في خلق الموجودات و عدمهما و هذا دليل واضح على وجود السعادة الأبدية. الملائكة ٤٢.

المدار الرابع: تكرر القيامة النوعية.[٢١]
المدار الخامس: جوهر استعدادات البشر وميوله.[٢٢]
المدار السادس: رحمة الرحمن الرحيم.[٢٣]
المدار السابع: محاسن وكمالات الخلق.[٢٤]
المدار الثامن: شوق الوجدان إلى الأبد.[٢٥]
المدار التاسع: أحاديث الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم.[٢٦]
المدار العاشر: بيان القران المعجز.[٢٧]
و في الختام أود أن ألاحظ الملاحظات التالية:

✓ الملاحظة الأولى:

إن النورسي يتحدث عن العدالة بشكل تلازمي بين الدنيا والآخرة:
الدنيا تستلزم الآخرة وذلك لتحقيق العدالة.
الآخرة تستلزم الدنيا وذلك لاستثمارها للآخرة والنتيجة تحقيق الله لوعده ووعيده.[٢٨]

✓ الملاحظة الثانية:

تناول النورسي موضوع العدالة بنوع من الجدة ويظهر ذلك في:

- ربط العدالة بالنبوة.
- ربط العدالة والرحمة بوجود الآخرة والعقاب.
- الموت ليس فناء وإنما هو تبدل.
- فطر الإنسان على الآخرة والعدالة.[٢٩]

---

(٢١) كل التحولات الكونية صورة مصغرة على القيامة و هي و لاشك، تشعر بحدوث القيامة الكبرى. الملائكة ٤٣. انظر كذلك: La Querelle des images ١١٥.
(٢٢) ميول الإنسان الفطري إلى السعادة الأخروية. الملائكة ٤٤.
(٢٣) من رحمة الله اقتضاء الآخرة التي تقتضي هي بدورها السعادة الأبدية. الملائكة ٤٥.
(٢٤) تجليات الرحمة تظهر في السعادة الأخروية الأبدية. الملائكة ٤٥٤٦.
(٢٥) الانجذاب الوجداني إلى السعادة الأبدية. الملائكة ٤٦.
(٢٦) أحاديث النبي صلى الله عليه و سلم أخبرت بوقوع الحشر. الملائكة ٤٦٤٧.
(٢٧) أخبار القران الكريم بوقوع الحشر، و هناك آيات كثيرة دلت على ذلك. الملائكة ٤٧ و ما بعدها.
(٢٨) رسالة الحشر: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٨٢. انظر كذلك الملائكة ٤٠٦٥.

✓ الملاحظة الثالثة:

مصادر العدالة عند *النورسي* يمكن حصرها في النص والطبيعة، ولا ننسى كذلك انه يشير إلى بعض المواقف الكلامية القديمة كإشارته إلى فكرة الوسط المتربعة بين فكرتي لا إفراط ولا تفريط. ولا ننسى كذلك أن العدل والعدالة هي من إيحاءات الظلم الذي كان يعيشه النورسي، فقد جاءته فكرة مهمة عن العدل وهو في سجن "أسكى شهر"، ولذلك كانت هذه العدالة المتحدث عنها من إيحاءات واقعه المعيش.(٣٠)

✓ الملاحظة الرابعة:

إذا كان هناك تلازم بين *الدنيا* والآخرة في تصور الإمام النورسي لمفهوم العدالة، فان هناك تلازمات أخرى تجمع بين:

- العدالة والآخرة.
- الرحمة وجهنم.
- العدالة والطبيعة.
- العدالة والكون.
- العدالة والقران.
- العدالة والنبوة.
- العدالة والفطرة.(٣١)

ما يمكن استنتاجه أن موضوع *العدالة* لدى النورسي اتخذ أبعادا متعددة، فلم ينظر إليه في إطار دنيوي، وإنما نظر إليه في جميع أبعاده النظرية والواقعية. وهكذا فالعدالة يمكن تلمس أبعادها في الطبيعة والبشر والكون والآخرة والحساب... وفي كل شئ.

٦. و من هنا يمكن الحديث عن تكامل هذا الموضوع في أبعاده المتعددة، ومن هنا كذلك يمكن الحديث عن نسقية النورسي وتكامليته، ليس فقط في هذا الموضوع موضوع العدالة، وإنما في جميع المواضيع التي تطرق إليها هذا المصلح.

---

(٢٩) السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٤٢. انظر كذلك الثمرة ٦٥ و الشيوخ ٦٦.

(٣٠) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٤١ و ما بعدها. انظر كذلك الاسم الأعظم ٢٩ و كتاب بديع الزمان سعيد النورسي: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٣٥٩٠١٠٣...

(٣١) الثمرة من شجرة الإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة: ذ. إحسان قاسم الصالحي ٦٥. انظر كذلك الاسم الأعظم ٢٩ ٣٣ وأنا ٤٩ ومرشد أخوات الآخرة ٩٢ و المثنوي ٨٨ و المعجزات الأحمدي ٢٠٢ والملائكة ٤٠ والحشر ٧٩ وقطوف من أزاهير ١٢٦ وأنوار الحقيقة ١٨ والثمرة ٤٠.

لائحة المصادر والمراجع

١. أنا: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة حسام. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٩٠
٢. أنوار الحقيقة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الحوادث. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٩٠
٣. الإخلاص والأخوة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الشاب. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٨٥
٤. الاسم الأعظم قبسات من أنوار الأسماء الحسنى: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء الحديثة. موصل. الطبعة الأولى. ١٩٨٧
٥. إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
دار الانبار ومطبعة الخلود. بغداد.. الطبعة الأولى. ١٩٨٩
٦. بديع الزمان سعيد النورسي (نظرة عامة عن حياته وآثاره): ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة النجاح الجديدة. البيضاء. طبعة ١٩٩٩
٧. بديع الزمان النورسي وإثبات الحقائق الإيمانية (المنهج والتطبيق): د. عمار جدلي.
شركة نسل للطبع والتوزيع. استنبول. الطبعة الأولى. ٢٠٠١
٨. الثمرة من شجرة الإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء الحديثة. موصل. الطبعة الأولى. ١٩٨٥
٩. رسالة الحشر: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة العاني. بغداد. الطبعة الثانية. ١٩٨٤
١٠. السنة النبوية سنة كونية وحقيقة روحية: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
عرض وتعليق: ذ. أديب إبراهيم الدباغ.
مطبعة الشعب. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٨٦
١١. الشيوخ: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء الحديثة. موصل. طبعة ١٩٨٤
١٢. الشكر ثمرة الحياة وغاية الكائنات: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مكتبة القدس. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٨٤
١٣. قطوف من أزاهير النور: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة العاني. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٨٣
١٤. مرشد أخوات الآخرة والإيمان: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الحوادث. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٩٠
١٥. الملائكة وبقا ء الروح والحياة الآخرة: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء. موصل. الطبعة الأولى. ١٩٨٤

١٦. المثنوي العربي النوري: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء الحديثة. موصل. طبعة ١٩٨٨
١٧. مرشد الشباب للنجاة في يوم الحساب: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ. إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الخلود. بغداد. الطبعة الأولى. ١٩٨٨
١٨. المعجزات الأحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام: الإمام سعيد النورسي. ترجمة ذ.
إحسان قاسم الصالحي.
مطبعة الزهراء الحديثة. موصل. الطبعة الأولى. ١٩٨٧
19. La Querelle des images : Abdelfattah KILITO. Edition EDDEF. Casa. 1995